مجلة جامعة بابل / العلوم الانسانية /المجلد 20/ العدد 3: 2012

الدولة الخوارزمية (دراسة في أحوالها السياسية)

خالد موسى الحسيني
كلية الأدب /جامعة الكوفة

علاء حسين ترف
كلية السياحة الدينية /جامعة كربلاء

المقدمة :

الصلاة والسلام على سيدنا محمد (ص) واله وصحبه وسلم

بما إن السياسة العباسية ولاسيما العصور المتأخرة اتسمت بكثرة التداخلات الأجنبية والتي هيئها الخلفاء العباسيين ، ومن هذه التداخلات هي (التركية –البويهية – السلجوقية) ثم أخذت هذه الأسر السلجوقية تتوسع وتتدخل حتى تعيين الخلفاء ، ومن المعروف بان الدولة السلجوقية كانت تتميز بإعطاء المكافئات لأتباعهم من السقاة والحجاب وحراس الملابس وغيرهم باقطاعات من الأرض واخذ انوشتكين يتدرج بعدما وافق السلطان بركيارق على توليته وإعطاءه لقب خوارزم شاه وبمرور الزمن وبعد أن توسعت الدولة الخوارزمية أخذت تتسلح بالتدريج بمعزل عن الدولة السلجوقية وذلك بسبب الضعف والانقسام الذي حل بالأخيرة ومن ثم انسلاخ إمارات أخرى تجد لنفسها المقدرة الحربية للتوسع في المناطق المجاورة والسيطرة عليها ، **ومن أسباب دراسة دولة خوارزم:**

لمعرفة هذه الإمارة التي هي قليل ما يتطرق في دراستها الباحثون .

لمعرفة كيف نشأت هذه الإمارة وتوسعت على حساب السلاجقة .

كيف كافحت في إضفاء طابع الشرعية لها عن طريق موافقة الخليفة العباسي بجعلها امارة مستقلة.

معرفة أهم السلاطين الذين حكموها .

معرفة أهم المعارك التي دارت بها وكيف انهارت على يد الوثنيين المغول نحو ٦٢٨ هـ .

أما الجوانب الحضارية لدولة خوارزم فإنها اتسمت بالنظم الإدارية المنظمة والتي تتمثل بالسلطنة وكيفية تدرجها وتوسعها بحسب توسع دولة خوارزم بعدما كانوا يلقبون بحاكمها (خوارزم شاه) أي ملك خوارزم . وبعد انهيار الدولة السلجوقية وسيطرتهم على مملكتها وتوسع دولتهم اخذوا يتوسعون باللقب حتى وصولهم إلى لقب السلطان، ومن ثم لقب الاسكندر الذي تلقب به علاء الدين محمد ، وكان السلاطين يقومون بتعيين الولاة فكانت سلطة الولاة محدودة فإذا اخطئوا يعاقبهم السلطان بالقتل . أما الولاة فكانوا يكتفون بتعيين وزير واحد ماعدا لوالي (اتسز) فكان له وزيران ، وكانت قوة نفوذ السلاطين تحد من سيطرة كل من الولاة والوزراء . أما طبيعة مجتمعهم كما يذكر ابن بطوطة فهم كرماء ويكثرون من الصلاة في المساجد ولهم من التجارة ما تميزهم عن غيرهم فمثلا الثمار المختلفة التي كانوا يشتهرون بها مثل البطيخ وغيره ويصدرونه إلى الهند والصين ويستوردون مقابل ذلك الشعير من ترمذ سالكين نهر جيحون في فصل الصيف .

ويحتوي هذا البحث عل أربعة مباحث حيث يتناول المبحث الأول نشوء الدولة الخوارزمية وعلاقتها بالسلاجقة ، وكيف ظهرت أسرة انوشتكين في الساحة السياسية وعلاقة كل من سنجر بعلاء اتسز ، والحرب التي دارت بين علاء اتسز والملك السلجوقي . أما المبحث الثاني فيتحدث عن توسع الدولة الخوارزمية وأسباب توسعها وذلك عن طريق وفاة المنافس السلجوقي لها وهو سنجر ومن ثم ضعف الدولة السلجوقية ووصول(ايل ارسلان) إلى السلطة بعد وفاة اتسز ون ثم استيلاء (ايل ارسلان) على خراسان وحاولته محاربته قبائل الخطا ومن ثم وفاته نحو ٥٩٦هـ فضلا عن سياسته في التوسع والتوطيد . اما المبحث الثالث فيتحدث عن ظهور المغول ونهاية الدولة الخوارزمية وكيف تولى (جلال الدين منكبرتي) السلطة في ظروف قاسية من عدة

أقطاب. القطب الأول محاولة قتله من قبل إخوانه وأتباعه . أما القطب الثاني هي من قبل المغول ومحاولتهم إسقاط الدولة الخوارزمية نهائيا .

ونجد أيضا انه أقام علاقة ودية مع الايوبيين لكن علاقته بالخلفاء العباسيين كانت بخلاف ذلك لأنه كان يتهم الناصر بعلاقته بالمغول وانه هيا للوثنيين بإسقاط الدولة الإسلامية . أما المبحث الربع فيتناول الجوانب الحضارية للدولة الخوارزمية ومنها النظام الإداري المتمثل بالسلاطنة والولاة والوزراء والدواوين والقضاء . ويتحدث عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للدولة الخوارزمية المتمثلة بمدينة خوارزم ومجتمعاتها وتجارة الدولة.

وقد اعتمد البحث على مصادر أولية ومراجع أهمها ابن خلدون في كتاب العبر الجزء التاسع والنويري في تاريخ السلجوق وابن الأثير ، الكامل في التاريخ بجزئية الثامن والتاسع واعتمد البحث على بعض المراجع المهمة وهو العبودي ، الدولة الخوارزمية . وخاشع المعاضيدي وعبد الأمير دكسن ، تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب . وغيرها من المراجع ألحديثه المختصة في دراسة التاريخ الإسلامي لاسيما الجانب السياسي والحضاري ومن اهم الصعوبات التي واجهها الباحث قلة المصادر التي تتعلق مواضيعها بدولة خوارزم .

المبحث الأول

نشوء الدولة الخوارزمية وعلاقتهم مع الدولة السلجوقية :

أولا : الموقع الجغرافي لدولة خوارزم :

وهي إمبراطورية نشأة في العصور الوسطى وعاصمتها اورجنتش ، دخلت الإسلام في القرن الساس الهجري تحت حكم السلاجقة ( ). وقد اتفق الجغرافيون المسلمون[1] في تحديدهم لإقليم خوارزم فذكروا إن حدوده من الغرب بلاد الترك الغزية ومن الجنوب بلاد خراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك أيضا .( )[2]

أما خوارزم في الوقت الحاضر فتقع ضمن الاتحاد السوفيتي سابقا ووزعت بين جمهوريتين هما اوزباكستان ، وتركمانستان . ( )[3]

ثانيا : ظهور أسرة انوشتكين وتوليها الحكم :

تعاقب على حكم إقليم خوارزم عدة اسر أهمها أسرة انوشتكين الذي كان أول الأمر عبدا تركيا اشتراه احد أمراء السلاجقة من بلاد غوجستان (بلاد الغور وشغل في البلاط السلجوقي وضيفة (الطشت دار) أي انه يقوم بغسل أدوات الوضوء وآلة الحمام والأباريق والطاسات والكراسي وغير ذلك ، ولما جرت عادة السلاجقة ان يكافئوا أتباعهم من السقاة والحجاب وحراس الملابس وغيرهم باقطاعات من الأرض واخذ انوشتكين يتدرج فولاة ولقبه (خوارزم شاه) ووافق السلطان بركيارق على توليه . ( )[4]

ثالثا : قطب الدين محمد وسياسته نحو ٤٩٠ هـ :

خلف قطب الدين محمد والده انوشتكين في إقليم خوارزم سنة ٤٩٠ هـ ثم اخذ يبذل جهودا كبيرة ومتواصلة في إدارة شؤون الإقليم ونال منزلة كبيرة لدى سلاطين السلاجقة ولاسيما سنجر (٥١٣-٥٥٢هـ)وقد

---

[1] غربال (محمد شفيق غربال) ،الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٢م ص٧٦٧ .
[2] ابن حوقل (ابو القسم بن حوقل النصيبي) ، ت٣٦٧ه ، كتاب صورة الارض ، دار كتبة الحياة ،بيروت ، بلا .ت، ص٤٧٤ .
[3] العبود (نافع توفيق) ، الدولة الخوارزمية ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٧٨م ص١٨ .
[4] المصدر نفسه ، ص٢٠ .

شمله بعطفه ورعايته وسانده ضد منافسيه ويروى بان بعض ملوك الأتراك جمع جموعا وقصدوا خوارزم وكان محمد بن انوشتكين غائبا عنها فلما سمع بذلك بادر إلى خوارزم وبعث إلى السلطان سنجر يطلب منه المساعدة فسار سنجر إليه بالعساكر من نيسابور إلا أن محمد لم ينتظره وسار حتى قارب خوارزم ورجع الأتراك خائبين ( ) وقد ضل محمد بن انوشتكين تابعا للسلطة السلجوقية حتى وفاته نحو ٥٢١هـ .( ) [٢]

رابعا : علاقة سنجر الملك السلجوقي بعلاء الدين اتسز :

لم يخرج حكم أسرة انوشتكين عن اقليم خوارزم بعد . فقد عين سنجر السلجوقي علاء الدين اتسز بن محمد بن انوشتكين خلفا لوالده ، وانصرف علاء الدين اتسز الى توطيد دعائم حكمه فمد ظلال الأمن وفاض العدل واشتهر بالعلم والفضل وحسن السير بالرعية فحضي بتأييد واسع ولما كانت كفاءة اتسز قد ظهرت للسلطان سنجر ، فقد قربه السلطان واعتمد عليه و اصطحبه معه في أسفاره وحروبه وزاده تقدما وضل على وفاق دائم مدة ثماني سنوات . ( ) [٣]

خامسا : الحرب التي دارت بين علاء الدين اتسز والملك السلجوقي سنجر :

ظل خوارزم شاه على وفاق دائم مع السلطان سنجر دون أن يفكر في محاربته ، وكان منصرفا في هذه المدة في تثبيت مركزه وتنمية قوة إقليمه ، حتى صار له من القوة ما يضاهي قوة أسياده السلاجقة ، ولما اطمئن اتسز على قوته سعى أن يستقل استقلالا تاما من السلاجقة متخذا سبيل التمرد والعصيان وسيلة للوصول إلى هدفه فثار على السلطان سنجر سنة ٥٢٩هـ وشرع بمهاجمة ممتلكات السلاجقة الواقعة أسفل نهر جيحون وضمها إلى منطقة نفوذه فبدا بذلك أول صدام عسكري بين السلاجقة والخوارزميين ( ). [٤]

توجه السلطان سنجر لقتال اتسز ، فجمع الجيوش ودارة معركة عنيفة بين الطرفين شهر محرم ٥٣٣هـ وكان النصر فيها حليف السلاجقة الذين تمكنوا من القضاء على عدد كبير من الخوارزميين ( ) وكان من بين [٥] القتلى ابن خوارزم شاه اتسز ، وقع أسيرا وجيء به إلى السلطان سنجر فأمر بشق جسمه إلى نصفين اثنين فحزن عليه ابوه حزنا عظيما ، وملك سنجر خوارزم واقطعها إلى غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه ورتب له وزيرا وقرر قواعده ، فلما فارق سنجر خوارزم عائدا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع إليها وكان أهالي خوارزم يكرهون العسكر السنجري ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد أعانوه على ملك الإقليم ففارق سليمان شاه ( ).

سادسا : سياسة اتسز مع سنجر :

خشي اتسز من عودة السلطان سنجر إلى خوارزم مرة ثانية فوجد من مصلحته الحصول على عطفه بإظهار الطاعة له ، وقد عمل على ذلك فعلا فحاز رضاه وصالحه . وتدل مصالحة خوارزم شاه للسلطان سنجر على سياسة حكيمة وبعد نظر لكي يحصل على الراحة والاستقرار فترة من الزمن ليعيد بها تنظيم قواه ، ولم

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢١ .

[٢] المعاضيدي (خاشع، رشيد عبد الله الجميلي) ، تاريخ الدويلات العربية والاسلامية ، جامعة بغداد ، بغداد ،١٩٨٠م ، ص ١١٥ .

[٣] العبود ، مصدر سابق ، ص ٢١.

[٤] المعاضيدي ، مصدر سابق ، ص١١٥.

[٥] المصدر نفسه ، ص١١٥.

[٦] ابن الاثير (ابو الحسن علي بن ابي الكرم) ،ت٦٣٠ه ، الكامل في التاريخ ، تحقيق ، عبد الوهاب النجار ،المطبعة المنيرية ، القاهرة ،١٩٥٧م ج٨ ،ص٣٦٤ .

يمضي سوى وقت قليل حتى نقض الصلح المعقود وشرع بمهاجمة ممتلكات السلاجقة من جد فقاد قواته وهاجم[١] بخارى [٢] وذلك نحو ٥٣٤هـ وقتل حاكمها[٣] زنكي بن علي [٤].

سابعا : تحالف اتسز مع قبائل الخطا ومعركة قطوان نحو ٥٣٦ هـ :

لم يكتفي اتسز باستيلائه على بخارى بل سعى لكسب حليف إلى جانبه لمقاومة سلطان سنجر فتحالف مع قبائل الخطا التركية [٥] التي كانت قد استقرت في بلاد مٰا وراء النهر في القرن السادس الهجري ونجحت في تأسيس دولة متخذة مدينة بلاساغون عاصمة لها [٦] .وحثها على مهاجمة ممتلكات السلاجقة[٧] في بلاد ما وراء النهر ونتيجة ذلك أخذت قبائل الخطا تشن غاراتها على البلاد الإسلامية وتمعن فيها سلبا ونهبا وتدميرا وبعدها لم يجد السلطان سنجر فبدا للتحرك لقتالها بعد أن اشتكى عماله في تلك النواحي من كثرة اعتداءاتها فسار سنجر بجيشه لمحاربة قبائل الخطا فالتقى الطرفان في معركة بالقرب من سمرقند تسمى معركة قطوان وذلك نحو ٥٣٦ هـ، خسر فيها سنجر خسارة كبيرة وأسرت زوجته وابنه ونجا بنفسه فهرب إلى ترمذ وبلخ ، وبعد ذلك قام بفدية زوجته وبقية الأسرى بخمسمائة ألف دينار [٨] .

ثامنا : نتائج المعركة :

لقد كانت هزيمة السلطان سنجر أمام الخطا ضربة عنيفة لقوة الإسلام وفرصة مناسبة لخوارزم شاه اتسز في توسيع ممتلكاته فأغار اتسز عل ممتلكات السلاجقة في خراسان واستولى على خزانة السلطان سنجر في مرو[٩]. وقطع الخطة له إلا إن خوارزم[١٠]شاه لم يتمكن من ضم أي مدينة في خراسان إلى ممتلكاته ، فاضطر إلى تركها حين عاد السلطان سنجر إلى خراسان بعد هزيمته أمام الخطا [١١] ، إلا أن سلوك الخوارزميين تجاه السلطان سنجر كان خطرا على الكيان السلجوقي إلا إن الأعمال التي ارتكبوها في خراسان بدافع الطيش من خوارزم شاه مهدت السبيل لكورخان صاحب الخطا الوثني أن يحقق أهدافه ، فاستولى على كل بلاد ما وراء النهر بعد ان هزم السلطان سنجر في معركة قطوان ثم ولى كورخان على بخارى لتمكين ابن الأمير بيباني بن اخي اتسز حاكما من قبله [١٢] .

تاسعا : حصار سنجر اقليم خوارزم نحو ٥٣٨ هـ :

لم يحرك سنجر ساكنا أمام تجاوزات شاه اتسز واعتدائه على حاضر ملكه خوفا من تحالفه مع الخطا غير انه صمم على الانتقام في الوقت المناسب [١] وفي سنة ٥٣٨هـ جمع السلطان سنجر جنوده فسار السلطان إلى خوارزم فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصن بالمدينة لأنه كان يدرك إن سنجر عازم على إزالة ملكه ولما وصل سنجر الى خوارزم وجد ان اتسز قد تحصن بالمدينة ولم يخرج لقتاله وكان القتال يجري بين الفريقين من وراء السور[٢] مدة عشرين يوما وحاول السلطان سنجر خلالها أن يستميل بعض الخوارزميين إلا انه فشل

---

[١] العبود ، مصدر سابق ، ص٢٤.

[٢] بخارى : مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر قديمة وكان يذكرها الرسول (ص) بجيحون ويقول بانها محفوظة بالرحمة ،وهي مجمع الفقهاء ومعدن الفضلاء ونشا علوم النظر .(القزويني ،زكريا بن محمد بن محمود ،ت٦٧٩ه،اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ،١٩٦٠م ،ص٥١٠.)

[٣] العبود مصدر سابق ،ص٢٤.

[٤] المعاضيدي، مصدر سابق ، ص١١٦. .

[٥] البنداري (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد) ، دولة السلجوق ، شركة طبع الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٠٠م ،ص٢٥٣ .

[٦] المصدر نفسه ص٢٥٤.

[٧] المصدر نفسه ،ص٢٥٦

[٨] العبود مصدر سابق ،ص٢٥.

[٩] المصدر نفسه ،ص٢٥.

[١٠]. المعاضيدي ، مصدر سابق ،ص١١٦.

[١١] ابن الاثير ، مصدر سلبق ج٩،ص٧.

في ذلك ( )، وحاول احد قادة سنجر بالاتجاه[1] إلى الجانب الغربي من البلد وكان هناك امير لخوارزم شاه يسمى مثقال تاجي وحدثت معركة بين الطرفين انهزم فيها تاجي . وبعده انسحب التاجي إلا ان سنجر توجه بعدد من الجنود وقام بإخراجه ( )، وضل سنجر مشددا الحصار[2] على خوارزم حتى كاد ان يملكها لولا انه وقع لاف بين أمرائه عاد عليه بالضرر ( ) ولما وجد خوارزم شاه اتسز ان[3] الحصار حوله محكما وشديدا خشي على ضياع ملكه فاظهر ندمه لما بدر منه وأرسل رسلا إلى السلطان سنجر يبذل المال والطاعة ليعود إلى ما كان عليه ( ) .

ومن نتائج الحصار :

1- رفع سنجر الحصار بعدما كان محكما على خوارزم وقد سامحه وعفاه .

2- يجب ان يتخلى اتسز على كل ما ملكه من البلاد في خراسان أثناء انشغال السلطان سنجر بحرب الخطا سنة ٥٣٦هـ .

3- كما تعهد اتسز بإرجاع ما استولى عليه من الأموال والمجوهرات التي أخذها من خزانة السلطان في مرو نحو ٥٣٦هـ ( )[5].

عاشرا : استقلال الدولة الخوارزمية عن طريق إضفاء الشرعية لها نحو ٥٣٨ هـ :

أ- موافقة الخليفة العباسي على استقلال خوارزم نحو ٥٣٨هـ : ومن الراجح ان يكون خوارزم شاه اتسز قد أعلن استقلاله نهائيا عن السلاجقة في ٥٣٨هـ بعد ان اخفق السلطان سنجر في القضاء عليه وصار الخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل وهكذا رتب الخوارزميين أمورهم ووحدوا أهدافهم فنالوا الاستقلال فلم يبق أمامهم إلا أن يعطوا دولتهم الصفة الرسمية ويصبغوها بالصبغة الشرعية بان يحصلوا على موافقة الخليفة العباسي على قيامها واعترافه بسيطرتها على المناطق التي تحت يدها والمناطق التي قد تسيطر عليها في المستقبل لذلك كان على خوارزم شاه اتسز بعد ان نال استقلاله ان يحصل على موافقة الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله(٥٣٢ هـ-٥٥٥ هـ) وبعث إليه رسالة مطولة اظهر فيها موالاته للخلافة وأشار إلى جهاد والده محمد بن انوشتكين وفضله على السلاجقة كما ضمنها تحريضا للخليفة في سنة ٥٣٨ هـ وإخفاقه في النيل منها ومما جاء في هذه الرسالة طلب من الخليفة أن يصدر باسمه منشورا رسمه على ولاية خوارزم ( ) شرقيها وغربيها ، وما يضاف[6] إليها وينعطف من بلادها وديارها ، وقد بعث إليه الخليفة بالخلع والتشريفات الأمر الذي يدل على ان الخليفة قد اعترف به حاكما شرعيا ( )[7].

ب- موافقة السلطان سنجر على استقلال خوارزم نحو ٥٤٣هـ : ولأجل ان يحقق خوارزم شاه استقلال بلاده كليا عن السلاجقة اخذ يثير المشاكل أمام السلطان سنجر بعد عودة الأخير من غزو خوارزم نحو ٥٣٨ هـ( ) وبعد ما سئم السلطان سنجر من الحملات المتعاقبة على خوارزم وكانت تكلفه الكثير من المتاعب فاضطر سنجر إلى الاعتراف باتسز حاكما مستقلا على الدولة الخوارزمية ( ) وبذلك ترسخت الدولة الخوارزميّة وصارت تظهر في صورة دولة قوية ( )[10].

---

[1] العبود ، مصدر سابق ،ص٢٦.
[2] ابن الاثير ، مصدر سابق ، ج٩ ص٧.
[3] العبود، مصدر سابق ، ص ٢٦ .
[4] المصدر نفسه ،ص٢٦.
[5] البنداري ، مصدر سابق ، ص٢٥٧.
[6] العبود ،مصدر سابق ،ص٢٦.
[7] العبود ، مصدر سابق ، ص٢٧.
[8] المعاضيدي ،مصدر سابق ،ص١١٧.
[9] المصدر نفسه ، ص١١٧.
[10] العبود ، مصدر سابق ، ص٢٨.

احد عشر : وصول ايل ارسلان الى السلطة نحو ٥٥١هـ وسياسته مع السلاجقة :

وعند وفاة خوارزم شاه اتسز نحو ٥٥١هـ ، وقد اصيب بفالج [١]، فعالجه الأطباء منه فلم يبرا فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير رئي الطبيب فاشتد مرضه وضعفت قوته فمات ، ولما توفي اخذ ولد السلطة وهو ايل ارسلان، فقتل نفرا من أعمامه وسمل أخا له فمات بعد ثلاثة أيام ، وقيل بل قتل نفسه ، وملك بعده ايل ارسلان بن اتسز وأرسل إلى السلطان سنجر ، وبذل له الطاعة والانقياد لأمره فانسب له منشورا بولاية خوارزم وسير إليه الخلع في شهر رمضان نحو ٥٥١هـ وذلك بعد هروب سنجر من اسر الغزو وعودته إلى مرو واستقرار ملكه في ايل ارسلان بهذه الولاية واستمر إلى ٥٦٨هـ [٢].

المبحث الثاني

توسع رقعة الدولة الخوارزمية على حساب السلاجقة

أولا أسباب توسع الدولة الخوارزمية وضعف السلاجقة :

أ- الأسباب المباشرة :

وهي تغلب قبائل الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وكان هؤلاء الغز من قبائل ما وراء النهر وهم شعوب الترك تحت الحكم السلجوقي[٣]. وهم من المسلمين فلما استولى[٣]قبائل الخطا على ملك الصين وعلى بلاد ما وراء النهر هاجر هؤلاء إلى خراسان وأقاموا بنواحي بلخ وذلك نحو ٥٣٦هـ ومن أهم أمرائهم محمود وديناز وبختيار وطوطي وارسلان ومعز أما أمير بلخ قماج فارا دان يبعدهم عنه فصالحوه وتركهم وكانوا يعطون الزكاة ويؤمنون الطرق لابن السبيل من المسلمين[٤]. ثم عاد إليهم قماج وأمرهم بالأنتقال من بلخ فامتنعوا فاضطر لمحاربتهم وقاموا بإرضائه بالمال إلا انه رفض الصلح معهم فحاربوه وقاتلوه ثم هزم وقتل الكثير من جنوده . والكثير من الرعايا والفقهاء وسبوا عيالهم إلا إن قماج قد نجا وهرب إلى (مرو) ولما وصل خبر هذه الحادثة إلى سنجر لمحاربتهم ولكنه هزم أمامهم أيضا هزيمة نكراء وقد وقع أسيرا في أيديهم [٥] وضل سنجر في الأسر لمدة ثلاث سنوات ثم تمكن من الهرب وذلك نحو ٥٥١هـ في شهر رمضان [٦]. ولما رأى سنجر ما حدث في[٦]بلاده من خراب على أيدي الغزو مرض ومات [٧]. وقد خدمت هذه الأسباب المباشرة وغير المباشرة في تقوية الدولة الخوارزمية وذلك عن طريق :

1- وفاة سنجر : لم يجد الخوارزميون منافسا قويا يقف أمامهم ويعرقل توسعاتهم لان الصراع الذي كان بينهم كان من المستحيل ان يحل بطرق سلمية وقد أدرك السلاطين الخوارزميين ان قوة دولتهم تأتي عن طريق اهتمامهم بتعزيز قوتهم العسكرية وبناء دولتهم وذلك لتحقيق طموحهم في توسيع رقعة ممتلكاتهم .

2- إتباع الخوارزميين سياسة التحالف وذلك لكسب الحلفاء للوقوف معهم في الحروب ضد أعدائهم [٨].

---

[١] النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) ، ت٧٣٣ه ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، تحقيق ، عبد المجيد ترحيني واخرون ، مجلد ١٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ص١٤١ .

[٢] المصدر نفسه ، ص١٤١.

[٣] ابن خلدون (عبد الرحمن المغربي) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، المجلد ١٥ ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، بلا . ت، ج٩، ص١٤٨

[٤] المصدر نفسه ، ص١٤٩.

[٥] المصدر نفسه ، ص١٤٩.

[٦].ابن الأثير ، مصدر سابق ،ج٩،ص٥٥.

[٧].العبود، مصدر سابق ،ص٣٠.

[٨]العبود، مصدر سابق، ص٣٠-٣١.

ب- الأسباب غير المباشرة هي :

1- ضعف دولة السلاجقة وذلك بسبب المنافسات والمنازعات وقد لعب الاتابكه ومربو أولاد الأمراء والسلاطين دورا فعالا في التحكم بأمور السلطنة [1]. وقد اشتد هذا النزاع بعد وفاة السلطان ملك شاه بن ارسلان في ٤٨٥هـ وظلت حتى سقوط الدولة السلجوقية نحو ٥٩٠هـ [2].

2- ظهور جماعات وعناصر مناوئه للسلجقه لها اثر في ضعف السلاجقة وهم الإسماعيلية وكذلك قبائل الخطا التركية التي ألحقت بهم هزائم منكرة بجيش السلاجقة [3].

ثنيا : استيلاء ايل ارسلان على خراسان :

حرص ايل ارسلان على أن لا يقتصر حكمه على إقليم خوارزم فقط بل رغب ان يمده الى الأقاليم الأخرى المجاورة لاسيما خراسان فنجح فعلا في الاستيلاء على بعض مناطقها وأقيمت له الخطبة [4] في جرجان [5] وكان لاستيلاء الخوارزميين على هذه المناطق ودخولهم الى خراسان بداية مرحلة جديدة لانهم اخذوا يدعمون قواتهم وينتشرون في الأرجاء المجاورة لهم واخذوا يتحينون الفرص للانقضاض على الممتلكات المجاورة وحاول ارسلان ان يستغل النزاع بين الأمراء السلاجقة للاستيلاء على العراق العجمي وهو إقليم جبلي على خراسان وفارس [6] وأبدى ايل ارسلان رغبته في الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين في سنة ٥٦٨هـ لمحاربة الخطا والوثنيين الذين أكثر اعتدائهم على البلاد الإسلامية ولكنه مرض ومات في السنة نفسها [7].

ثالثا : وفاة ايل ارسلان والنزاع على السلطة وتدخل الخطا :

عند وفاة ايل ارسلان صارت هناك فتنة وذلك بسبب إعطاء ايل ارسلان الملك إلى الأخ الأصغر وهو الشاه محمود أما ابنه الأكبر علاء الدين تكش فكان يقيم بجنده وهي مدينة في بلاد تركستان [8] وكان والده اقطعها له فاستاء من تولي أخيه الصغير وتقديمه عليه فقصد إلى الملك خطا في ما وراء النهر ليكون حليفه ضد أخيه الصغير وأطمعه في الأموال والذخائر فجهز جيشا كثيفا فلما قارب من خوارزم خرج السلطان شاه محمود مع أمه وسار إلى المؤيد صاحب نيسابور وستنجده ودخل علاء الدين تكش إلى خوارزم بغير قتال ، ولما اجتمع الشاه محمود وآمه بالمؤيد وأغدقاه بالهدايا الجليلة وأطمعاه في الذخائر و الأموال وجمع الجيوش للتوجه الى خوارزم . فتقدم اليهم علاء الدين تكش بعساكره فانهزم المؤيد ثم أخذوه أسيرا وجيء به إلى خوارزم شاه تكش فقتل بين يديه وهرب السلطان شاه محمود إلى دهستان وهي بلدة بالقرب من خوارزم فقصده تكش وافتتح المدينة عنوة وهرب السلطان شاه منها إلا إن أمه قد بقيت فقتلها تكش وعاد إلى خوارزم وتوجه السلطان شاه محمود إلى غياث الدين ملك الغز فأكرمه وعظمه [9] ولما ثبت قدوم علاء الدين في الملك ترادفت عليه رسل الخطا وطلب الأموال التي وعدهم بها لأنهم رأوا أنهم هم الذين ملكوه فأنفت نفسه من ذلك وداخلته حمية الإسلام فقتل احد أقارب ملك الخطا وأمر وجوه أهل خوارزم بقتل كل رجل من الخطا فنفذوا ونبذ عهده مع ملك الخطى فلما سمع

---

[1] العلي (صالح احمد ، خضير جاسم الدوري) ، التسلط الاجنبي ، موسوعة العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣م، ص٤٥٠

[2] العبود ،مصدر سابق، ص٢٨ .

[3] المصدر نفسه ، ،ص٢٨.

[4] .المصدر نفسه،ص٣٢.

[5] جرجان هي مدينة عظيمة بقرب طبرستان ، بناها يزيد بن المهلب ، وهي مدينة اقل مطرا من طبرستان ، (القزويني ، مصدر سابق ، ص٣٤٨.

[6] العبود مصدر سابق ،ص٣٢..

[7] المصدر نفسه ص٣٢.

[8] النويري مصدر سابق،ص١٤١.

[9] ابن الاثير مصدر سابق ،ص١١٤.

السلطان شاه محمود سار إلى الخطا وطلب نجدتهم ضد أخيه فجهز معه جيش كثيفا من الخطا فسار بهم وحاصروا خوارزم فأمر تكش بإجراء ماء جيحون عليهم . وكادوا يغرقون فرحلوا عن خوارزم وندموا على قصدهم ، اما السلطان شاه محمود صار مشردا في البلاد تارة عند الخطا وتارة عند غياث الدين إلى أن مات نحو ٥٨٩هـ ( )[١].

رابعا : سياسة علاء الدين تكش (٥٦٨-٥٩٦هـ) في التوسع :

اما عن دور خوارزم شاه تكش في توسيع دولة خوارزم فانه استغل انقسام الأمراء السلجوقيين على أنفسهم واستولى على الري سنة ٥٨٨هـ بعد أن قتل السلطان طرغل بن ارسلان السلجوقي آخر سلاطين السلاجقة وهكذا أخذت الدولة الخوارزمية تتوسع شيئا فشيئا حتى تمكنت من ضم جميع الممتلكات السلجوقية في خراسان والعراق العجمي . ثم واصل تكش زحفه نحو همذان وتولى على الأقاليم كلها وعاد إلى خوارزم ( )[٢].

خامسا : علاء الدين تكش والخليفة العباسي الناصر لدين الله :

اخذ العداء يدب بين الخوارزميين والعباسيين حول اقتسام مخلفات الدولة السلجوقية وتطور الخلاف عندما بعث خوارزم شاه علاء الدين تكش إلى الخليفة العباسي يطلب السلطنة وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت عليه في زمن السلاجقة ( ) واخذوا يطالبون الخليفة العباسيّ[٣] بالخطبة لهم في بغداد إلا إن الخليفة رفض طلباتهم فقابلوا رفضه بقطع الخطبة باسمه في بعض الاقاليم التابعة لهم ( )[٤].

سادسا : محاربة قبائل الخطا والإسماعيلية نحو ٥٩٤هـ :

واصل خوارزم شاه تكش في سياسته التوسعية فتمكن سنة ٥٩٤هـ ان ينتزع بخارى من الخطا بعد الانتصار عليهم ( ) وبعد أن ضم علاء الدين تكش[٥] هذه الممتلكات إلى دولته التفت فوجد هناك خطر يهدد ممتلكاته من قبل الإسماعيلية وهم الباطنية لأنهم يظهرون غير ما يبطنون ( ) وهكذا استطاع علاء الدين تك شّان يوطد دعائم الدولة الخوارزمية وان يجعل لها كيان وصارت دولة خوارزم لها هيبتها بين المسلمين وتمكن تكش من المحافظة على وحدة دولته الشاسعة حتى وفاته سنة ٥٩٦هـ( )[٦] .

سابعا وفاة علاء الدين تكش وتولي ابنه علاء الدين محمد السلطة نحو ٥٩٦هـ :

كانت وفاته في شهر رمضان نحو ٥٩٦هـ بشهرستانه بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم إلى خراسان ومرض بمرض الخوانيق فاشتد مرضه ومات ولما اشتد به المرض أرسل من معه إلى ولده قطب الدين ليستدعونه فوصل بعد وفاة أبيه وتولى الملك ولقب بلقب أبيه علاء الدين خوارزم شاه وأمر بحمل أبيه إلى خوارزم فحمل هناك ودفن ( )[٧] .

---

[١] النويري ،مصدر سابق ، ص١٤٢.
[٢] المعاضيدي مصدر سابق ، ص١١٩.
[٣] العبود مصدر سابق ، ص٣٤..
[٤] عيسى ،سلمان ، تحرير العراق من التسلط الاجنبي وانتعاش الخلافة ، موسوعة العراق في التاريخ ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٣م، ص٤٥٩ .
[٥] ابن الاثير ،مصدر سابق ،ج٩ ص٢٤١.
[٦] النويري،مصدر سابق ،ص١٤٣
[٧] العبود مصدر سابق،ص٣٤.
[٨] عبد الرءوف (عصام الدين) ، الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بلا .ت، ص٢٥٧.

ثامنا سياسة علاء الدين محمد في التوسع :

أ- حرب علاء الدين مع الغورية وتحالفه مع الخطا :

كان يعاصر علاء الدين محمد من حكام الدولة الغورية الإخوان غياث الدين وشهاب الدين ويتوقعان بان علاء الدين الضعيف لايقوى على مقاومتهم فأغاروا على مرو وسرخس وطوس ونيسابور وغيرها من الممتلكات الخوارزمية وقد أرسلوا حكاما ساموا الرعايا الخوارزميين سوء العذاب ونهبوا أموالهم [١] . فاستاء خوارزم شاه من تصرفاتهم وصمم على إخراج الغوريين من المناطق التي استولوا عليها وساعدته الظروف المحيطة بالغوريين على تسهيل مهمته اذ توفي احد الأخوين وهو غياث الدين وذلك نحو ٥٩٩هـ ولم يقوا اخوه شهاب الدين على الاحتفاظ بما في يده من ممتلكات الخوارزميين فاستعاد خوارزم شاه علاء الدين أملاكه الخراسانية وذلك نحو ٦٠٠هـ فاشتد شهاب الدين نفسه في مقاومة علاء الدين محمد وقاد حملة إلى خوارزم في السنة نفسها منتهزا وجود علاء الدين محمد في خراسان ، ولكن حملته باءت بالفشل وذلك لاستغاثة علاء الدين محمد بقبائل الخطا فأطبقت على قوات شهاب الدين المرتدة وكادت ان تسحقها سحقا [٢].

ب- تحالف صاحب سمر قند مع علاء الدين ضد قبائل الخطا ٦٠٤هـ :

طلب عثمان خان صاحب سمرقند مساعدة علاء الدين محمد له على قتال الخطا الذي كانوا يغيرون على تركستان وبلاد ما وراء النهر فكتب إليه بقوله : (إن الله اوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الأموال ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما نحمله إليهم ونذكر اسمك في الخطبة على السكة) [٣] . وقد أجابه خوارزم شاه إلى ذلك فأولى أخاه لي شاه طبرستان فضلا عن جرجان وبعدها توجه الى قتال قبائل الخطا فالتقى الطرفان ودارت المعركة فيما بينهم وقتلوا قبائل الخطا الكثير من الجيش الخوارزمي وقد وقع خوارزم شاه علاء أسيرا بيدهم الا انه خلص نفسه من الأسر وبعد التخلص من الأسر عاد بحملة كبيرة لمحاربتهم من جديد حتى تمكن من إزالة دولتهم من جديد [٤] .

ج- دولة خوارزم في أوج عظمتها في التوسع :

لم يقف خوارزم شاه علاء الدين عند هذا الحد في توسعاته بل ضل يواصل سياسته في التوسع وضم ما يمكن الاستيلاء عليها من الأقاليم المجاورة فتمكن من الاستيلاء على كرمان ومكران وساحل المحيط الهندي والاقاليم الواقعة غرب نهر السند وبعد استيلائه على هذه الأقاليم صار الطريق مفتوحا أمامه للاستيلاء على مدينة غزنة حاضرة الدولة الغورية فحاصرها حتى سقطت بيده نحو ٦١٢هـ وهكذا عادت الدولة الخوارزمية في ذروة اتساعها على عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد [٥] . إذ أصبحت حدودها تمتد من العراق غربا الى حدود الهند شرقا وبحر ارال وقزوين شمالا والخليج العربي والمحيط الهندي جنوبا [٦] .ولما كانت الممتلكات واسعة جدا فانه لم يكن من اليسير عليه السيطرة عليها بسهولة فقام بتنظيم شؤون الإدارة والحكم فقسم دولته الى اربعة ولايات وهي كالتالي :

١-القسم الشرقي : ويضم باميان والغزة والغور وكان هذا القسم إلى ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي .

---

[١] ابن الاثير ،مصدر سابق ،ص٢٥٣.
[٢] العبود مصدر سابق ،ص٣٦.
[٣] النويري، مصدر سابق ،ص١٥١-١٥٢.
[٤] العبود،مصدر سابق ،ص٣٧-٣٨.
[٥] المعاضيدي ،مصدر سابق ،ص١٢١.
[٦] العبود،مصدر سابق ،ص٣٨.

٢-القسم الشمالي : ويظم خوارزم وخراسان ومازندران وكان من نصيب ابنه وولي عهده قطب الدين ازلاغ شاه .
٣- القسم الغربي : ويشمل العراق العجمي ، وكان من نصيب غوشايجي .
٤-القسم الجنوبي : ويشمل كمران ومكران وكيش وكان من نصيب غياث الدين بيرشاه ( )[١].

المبحث الثالث

ظهور المغول ونهاية الدولة الخوارزمية

اولا : ظهور المغول ووفاة خوارزم شاه علاء الدين نحو ٦١٧ هـ :

لم تشأ الحوادث ان تهمل الدولة الخوارزمية طويلا ليجني حكامها ثمار انتصاراتهم العظيمة ( )[٢] بل سرعان ما ظهر الخطر المغولي (المغول هم شعب آسيوي ينتشر على وجه الخصوص في منغوليا وفي سبريا وفي الاتحاد السوفيتي ، وهم من الرعاة ومن أتباع البوذية ، وكان مؤسس هذه الدولة جنكيز خان)[٣]( ) .ولم يستطع خوارزم شاه علاء الدين ان ينصرف الى شؤون دولته الداخلية ومجابهة المشاكل الكثيرة التي واجهته حتى تمكن المغول سنة ٦١٧ هـ من اجتياح اقليم خوارزم ان يقوى على صدهم وقد فر أمامهم علاء الدين الى إحدى جزر بحر قزوين وهناك انتابه المرض فمات في نفس السنة تاركا بلاده لعدوه يدمرها ( )[٤] .

وأما المغول الذين ساقوا خلفه فإنهم خربوا البلاد وسفكوا الدماء واستولوا على الممالك وساروا في القتل بين الملوك والممالك ( )[٥].

ثانيا: تولي جلال الدين منكبرتي السلطة :

لما اشتد المرض على علاء الدين بالجزيرة خلع قطب الدين ازلاغ من ولاية العهد وفوضها للسلطان جلال الدين منكبرتي بحضور أخويه ازلاغ شاه وآق شاه وقال : (إن كسر السلطنة قد انفصمت ، والدولة قد وهت قواعدها ، وتهدمت وهذا العدو قد تأكدت اسبابه ، وتثبتت بالممالك اضفاره ، وتعلقت انيابه، وليس ياخذ بثاري منه الا ولدي منكبرتي وها انا موليه ولاية العهد فعليكما بطاعته ، والانخراط في سلك تباعته) وشد سيفه بيده في وسط جلال الدين ثم مات بعد ثلاث أيام ولما دفن السلطان بالجيرة ركب جلال الدين البحر ومن معه من اخوانه ومهم زهاء سبعين الف نفسا لقصد خوارزم ( )[٦] . فلما قاربوها التقوهم بالدواب وآلأسلحة من أتباعهم الا انه حدثت فتنة بين الإخوة حيث ان جزء من الناس مالوا إلى ازلاغ شاه وعزموا على القبض على علاء الدين وقتله او سمله فعلم احد المقربين له وهو اينانج خان بما دبروه الى جلال الدين فأشار اليه بالهروب الى خراسان ومعه ثلاثمائة فارس وقد بلغوا جنكيز خان بعودة جلال الدين الى خراسان وبعد ذلك اتجه الى خراسان بعساكر كثيفة فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وكان الظفر لجلال الدين فقتلهم وغنم بما عندهم ولم يفلت منهم الا الشارد وقد تقوى جلال الدين بما غنمه وبعد ذلك اتجه الى نيسابور ( )[٧] اما اخوانه فقد حدثت بينهم وبين المغول حربا شرسة انتصروا بها اول الامر الا انهم انكسروا في المعركة حسبا منهم ان المعركة قد انتهت ومن ثم قتل كل من ازلاغ شاه واق شاه ومن

---

[١] النسوي (محمد بن احمد)، ت٦٣٩ه ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ احمد حمدي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص٧١-٧٢.
[٢] النسوي ، مصدر سابق ، ص١٠٨.
[٣] غربال ، مصدر سابق ،ص١٧٢٧
[٤] النويري مصدر سابق ،ص١٠٨.
[٥] المصدر نفسه ،ص١٧٣.
[٦] المصدر نفسه ،ص١٧٤.
[٧] المصدر نفسه ،ص١٧٤-١٧٥.

معهما وعاد المغول الى جنكيز خان برئسيهما [1] وبعدما نجا جلال الدين منكبرتي من المعركة مع جنكيز خان كان معه نحو أربعة ألاف فارس سار بهم الى الهند ثم الى كرمان وذلك نحو ٦٢٢هـ ثم الى اصفهان حيث انتزع هذه المناطق من اخيه غياث الدين الذي كان مسئولا عنها من والده اما المغول فقد انسحبوا بشكل مؤقت من بعض الاماكن التي احتلوها فاستقل فيها بعض الحكام المحليين في خراسان ومازندان والري وبلاد الجبل واستطاع جلال الدين مكبرتي الاستيلاء عليها وتثبيت سلطته [2].

ثالثا : محاولة منكبرتي الاستيلاء على الدولة العباسية :

الغريب في الأمر ان السلطان منكبرتي كان يتهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله بمكاتبة المغول وأثارتهم ضد أبيه علاء محمد بقوله (كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار إلى بلاد ووجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعه إليهم بالبلاد والخيل والخلع [3].

اما ابن الأثير قد صرح بهذه التهمة عند وفاة الخليفة الناصر وذلك نحو ٦٢٢هـ بقوله (وكان السبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من انه هو الذي اطمع التتر في البلاد وأرسلهم في ذلك فهو الطامة في البلاد وأرسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذئب عظيم) [4]. وبهذا توجه منكبرتي الى العراق فقصد الاحواز وحاصرها ولكنه لم يستطيع فتحها ثم توجه شمالا ونزل في بقعوبة قرب بغداد فاستجمع الناصر قوته وسحب جيوشه من البصرة وما حولها وبدا بالاستعداد للحصار وذلك بتوفير السلاح والنفط ولكن منكبرتي غادر المنطقة الى اذربيجان بعد ان نهب وسلب واحدث الفوضى [5].

رابعا : علاقة السلطان جلال الدين منكبرتي بالدولة الايوبية :

بعد وفاة الملك العادل ٦١٥هـ وقع خلاف بين ابنائه الثلاث وهم الكامل صاحب مصر والمعظم صاحب دمشق و الاشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخلاط وميافارقين وقد ازداد هذا الخلاف عندما اتفق الملك الكامل والملك الاشرف على اخيهما المعظم عيسى ولما علم المعظم بذلك اخذ يسعى للحصول على حليف يقف الى جانبه ضد اخويه فارسل الصدر البكري محتسب دمشق ومعه جماعة من الصوفية الى السلطان منكبرتي ولكي لا يثير شك اخوته بهذه المسالة تظاهر ان مهمة المرسل غير ذلك . وبعدها صارت علاقة كل من المعظم عيسى وجلال منكبرتي وثيقة جدا فعندما استولى السلطان جلال الدين على اذربيجان سنة ٦٢٢هـ بعث الى المعظم رسالة يضمن بها البقاء على الحلف فاجابه جلال الدين الى طلبه ضد اخيه الاشرف صاحب ميافا رقين ومن ثم زوجه ابنته دار مرشد الى جلال الدين منكبرتي [6] اما من ناحية المنكبرتي فكان يرغب في استمالة المعظم اليه ضد الخليفة الناصر لغزو بغداد وذلك نحو ٦٢٢هـ وقد كتب إلى المعظم يقول له (تحضر انت ومن عاهدني واتفق معي معي حتى نقصد الخليفة فانه كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار إلى البلاد) [7] ولكن المعظم امتنع من اجابة طلبه ومع ذلك ظلت العلاقة ودية بين الطرفين [8] .

---

[1] النويري ، مصدر سابق ،ص١٧٥

[2] السامرائي (خليل ابراهيم طارق ، طارق فتحي سلطان ، جزيل عبد الجبار) ، تاريخ الدول العربية الاسلامية في العصر العباسي ، جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٨م،ص٣٥٧.

[3] العبود ، مصدر سابق ، ص١٠٢.

[4] المصدر نفسه ، ص١٠١ .

[5] ابن الأثير مصدر سابق ،ج٩،ص٣٥٥-٣٥٦

[6] العبود مصدر سابق ،ص١٥٣-١٥٤.

[7] العبود ،مصدر سابق ،ص١٥٤.

[8] المصدر نفسه ،ص١٥٤-١٥٥.

خامسا : نهاية الدولة الخوارزمية سنة٦٢٨هـ :

عندما قدم المغول أخيرا سنة ٦٢٨هـ كان جلال الدين وحده في مواجهتهم . وقد أضعفته الحروب المتعددة فوجه دعوته لأمراء وملوك الأطراف للوقوف معه صفا واحدا بوجه الخطر قائلا (ان جيشا جرارا من عساكر التتار كانه النمل والثعابين من حيث الكثرة وقوة قد تحرك نحونا فاذا ترك وشانه فسوف لا تصمد امامه القلاع والامصار فاذا هزمت وخلا مكاني من بينكم فلن تستطيعوا مقاومة هذا العدو . اذن انا لكم بمثابة الاسد الاسكندر فليسارع كل منكم الى إمدادنا بفوج من الجنود حتى اذا ما وصلهم نبا اتفاقنا واتحدنا فترت قوتهم وفت في عضدهم بينما يشجع جنودنا وتقوى قلوبهم) .

ولكن لايبدو ان نداء جلال الدين لقي اذانا صاغية ولا يبدو ان الخليفة وملوك وأمراء الدويلات والأطراف كانوا يعتقدون ان المغول يمنك ان يصلوا الى بلادهم فلا بأس اذ ان ينشغل منكبرتي بهم فيتخلصون من اعتداءاته المتكررة وينصرفون الى مشاكلهم ومنافساتهم المحلية ( )[١].

ولكن المغول داهموا الري وهمدان وعرجوا الى اذربيجان فلم يتمكن جلال الدين من صدهم واضطراب جيشه نتيجة خلافات في داخله بين قادته وهرب منكبرتي امام المغول فتعقبوه الى مراوغته واحتلوها ثم ارسل الخليفة يبلغه مدة خطورة المغول على الخلافة ( ) وبعدها اضطر الى الذهاب الىٰ ميافارقين وحاول الاتصال بالملك الاشرف الايوبي ولكن احد قطاع الطرق عثر عليه وقتله نحو ٦٢٨هـ وبذلك انتهى امره وانتهت معه الدولة الخوارزمية ( )[٣].

المبحث الرابع

الجوانب الحضارية للدولة الخوارزمية

أولا : النظام الاداري للدولة الخوارزمية :

أ- السلطنة

تلقب حكام الدولة الخوارزمية بادئ الأمر بلقب خوارزم شاه ومعناه ملك خوارزم وأول من تلقب بهذا اللقب هو قطب الدين محمد بن انوشتكين وذلك نحو ٤٩٠هـ وعند توسع الدولة الخوارزمية واستطاعت ان تحتل مكانة بين الدول الكبرى واستيلائها على ممتلكات الدولة السلجوقية ، ومن ثم اصبح هذا اللقب لا يتلاءم ومكانة دولتهم . لذلك خلع خوارزم شاه علاء الدين تكش على نفسه لقب السلطان بعد ان زال ملك السلاجقة نحو ٥٩٠هـ وضرب اسم السلطان على سكة ( )[٤].

وبعد ان صارت الدولة الخوارزمية في أوج عظمتها في عصر خوارزم شاه علاء الدين محمد أطلق على نفسه لقب الاسكندر اما سلطتهم على الدولة فكانت غير محدودة كانوا يعينون ويعزلون الوزراء وحكام الولايات والقضاة وأصحاب المناصب العسكرية العالية . وكانوا يعلون الحرب ويقودون الجيوش ويأمرون بإقطاع الأراضي ووضع الضرائب وإزالتها ، وبما ان صلاحياتهم واسعة إلا أنهم كانوا يشيرون أصحاب الدراية في الأمور الهامة ( )[٥] .

اما نظام الحكم لدى الخوارزميين فهو وراثي حيث جرت العادة ان يعين السلطان ولي العهد في حياته ، وقد حرص السلاطين على توريث السلطنة للأكبر من أبنائهم ، الا انب عظهم كان يرشح ابنه الأصغر بسبب

---

[١] السامرائي ،مصدر سابق ،ص٣٥٨

[٢] المصدر نفسه ،ص٣٥٨.

[٣] ابن الثير ، مصدر سابق ،ج٩،ص٣٥٨

[٤] العبود ، مصدر سابق ، ص٢١٧.

[٥] المصدر نفسه،ص٩٨.

تدخل النساء ( )[٢]، وقد تكررت مثل هذه الحالة في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد الذي عهد لابنه ازلاغ شاه متخطيا ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي مدفوعا بتأثيرات أمه تركان خاتون ونفوذها ( ).

ب- الولاة :

كان كل سلطان خوارزمي يعين نواب عهنه في المدن والأقاليم التابعة له يقوم بإدارتها وكان هؤلاء يقدمون المال لخزينة السلطان والقوات العسكرية المناسبة ، ولم تكن السلطة الممنوحة لهم كاملة بل كان السلطان يتدخل في شؤونهم اذا اقتضى الأمر ويعاقبهم اذا ظهر منهم عملا لا يرضاه ، وربما بلغت عقوبته لهم حد القتل اذا ما استغلوا مناصبهم لأغراضهم الشخصية ( )[٣] .

ج- الوزارة :

ظهر منصب الوزارة لأول مرة لدى الخوارزميين في عصر خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين وورد لنا من وزرائه الفلكي أبو مظفر سعيد بن محمد بن عبد الله النيسابوري والأخر شمس الدين أبي الفتح محمد بن علي بن موسى ( )[٤].

ويتبين لنا من دراسة نظام الوزارة في الدولة الخوارزمية ان تعيين الوزير وتفويض السلطة اليه من صلاحية السلطان الخوارزمي باعتباره المشرف الفعلي على شؤون دولته ، وتعد سلطة الوزير محددة و ببقائه في السلطة يتحدد على قبول السلطان عنه ( )[٥]

وكان عدد الوزراء يختلف من سلطان الى اخر فقد اتخذ بعضهم وزير والبعض الأخر أكثر من وزير ، فنجد مثلا للسلطان علاء الدين محمد ثلاثة وزراء في كل من نسا ونيسابور ( )[٦] وبلاد الترك ( )[٧] وكان الوزراء يعيشون في أقطاعات مقررة لهم نحها لهم السلطان ( )[٨] .

ويذكر النسوي بان الوزراء قد تلقبوا بعدة القاب جديدة مضافة الى أسمائهم ، ويبدوا أنهم اقتدوا بالسلاجقة في هذا الشأن فبعد ما كانوا يلقبونهم بلقب خواجه ( ) أصبحوا يخاطبونهم بألقاب معظمة ، فقد تلقب الوزير ناصر الدين وزير خوارزم شاه علاء الدين محمد ب (المثال العالي ، ألمعظمي ، الصدري ، الاعظمي ، العادلي ، العالمي ، المرابطي ، القوامي ، العمدتي ، الكهفي) وغيرها من الألقاب الكثيرة .

د- الدواوين :

اتخذت الدول والممالك الإسلامية بغداد حاضرة الخلافة لها في شان تنظيم الدواوين فأوجدت الدواوين المناسبة لها لكي تشرف على إدارتها ، ويبدو ان الخوارزميين تأثروا بهذا النوع من التنظيم الإداري فادخلوه بالدهم فاوجدوا ديوان الجيش ويسمونه احيانا بديوان العرض ( )[١] وهو نموذج لما كان عليه ديوان عض الجيش في الدولة العباسية . وكان هذا الديوان يظم أسماء عدد من القواد ، والجند وطوائفهم ورواتبهم وأعطياتهم ، واقطاعاتهم ، وكان هناك ديوان اخر يسمى بديوان الإنشاء وهو ديوان الرسائل السياسية ومراجعة الرسائل الرسمية

---

[١] المصدر نفسه ،ص٩٨
[٢] النسوي ،سير جلال الدين ، ص٧١.
[٣] العبود مصدر سابق ،ص٢١١.
[٤] العبود ، مصدر سابق ،ص٢٢١
[٥] النسوي،مصدر سابق ،ص٦٧.
[٦] المصدر نفسه ،ص٩٧.
[٧] المصدر نفسه ،ص٢٥١.
[٨] العبود مصدر سابق ،ص٢٢٧.
[٩] النسوي مصدر سابق ،ص٨١.
[١٠] المصدر نفسه ،ص٤٩.

ووضعها في الصيغة النهائية . لذلك تعتبر وضيفة كاتب النشاء من الوظائف الرئيسية لدى الخوارزميين [١] . وكان من اشهر كتاب الانشاء محمد العمري الكاتب البلخي المعروف برشيد الدين الوطواط كاتب لعهد خوارزم شاه اتسز وكان يعتبر من اكبر الكتاب في الدولة [٢] .

وهناك أسماء اخرى لأشخاص تولوا كتابة الانشاء في الدولة نذكر منهم نظام الدين كاتب الانشاء لخوارزم شاه علاء الدين محمد [٣] ومحمد بن احمد النسوي الذيّ عهد اليه السلطان جلال الدين منكبرتي بوضيفة كاتب الانشاء ، فتقلدها كارها في بادئ الأمر ثم تعلق بها بعد ان عم عليه نفعها وصار يقاتل على حد تعبيره من يزاحمه عليها [٤] .

هـ- القضاء :

تعتبر وضيفة القاضي من ارفع الوظائف الدينية ، وأعلاها قدرا واجلها رتبة وكانت القضايا التي يتناولها القاضي للفصل فيها كثيرة ومتنوعة منها قضايا السرقات ، وشرب الخمر والزنا والمواريث ، وكان القاضي يقوم بوضيفة المحتسب لان هذه الوظيفة كانت شديدة القرب من وظيفته [٥] .

وكان القضاة يعينون عادة من قبل السلطان الخوارزمي ، كما تبين ذلك من تعيين خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش للقاضي صدر الدين الجندي قاضيا في نيسابور وتوابعها [٦] .

ثانيا : الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للدولة الخوارزمية :

أ- مدينة خوارزم ومجتمعاتها :

تعد مدينة خوارزم من اكبر المدن وأعظمها وأجملها ولها أسواق وشوارع فسيحة وعمارة كثيرة وترج بالسكان لكثرتهم وتموج بهم موج البحر ويتوسط بالمدينة الأسواق والمدارس وكانت تلك السواق تخف زحامها يوم الجمعية وفيها مدارس ومساجد [٧].

اما طبيعة المجتمع الخوارزمي فيذكر ابن بطوطة عن طبيعة المجتمع في خوارزم ويقول (لم ار في بلد الدنيا احسن اخلاقا من اهل خوارزم ولا اكرم نفوسا ولا احب في الغرب منهم ، ولهم عادة جميلة في الصلاة لم ارها لغيرها ، وهي ان المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيرانه معلما لهم بحضوره الصلاة فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام بمحضر الجماعة وفي كل جامع درة اي كيس من النقود معلق برسم ذلك ويغرم خمسة دنلنير تنفق في مصالح الجامع او تطعم لفقراء المسلمين ، ويذكرون ان هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان) [٨] .

ب- التجارة في الدولة الخوارزمية :

يقع نهر جيحون خارج خوارزم وهو احد الأنهار الأربعة من الجنة وهو يجمد في أوان البرد كما يجمد نهر اتل وتسلك الناس عليه ، وتبقى مدة جموده خمسة أشهر وربما سلكوا عليه عند أخذه في الذوبان فهلكوا . ويسافر عبره الناس أيام الصيف بالمراكب الى ترمذ ويجلبون منها القمح والشعير وقد اشتهروا بتجارة البطيخ

---

[١] العبود ،مصدر سابق ،ص٢٢٩.
[٢] المصدر نفسه ,ص٥٢٩.
[٣] النسوي ،مصدر سابق ،ص٨٢.
[٤] المصدر نفسه ،ص١٩٤-١٩٥.
[٥] العبود ،مصدر سابق،ص٢٣٦
[٦] النسوي ،مصدر سابق ،ص٢٠٨.
[٧] ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد ،رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تحقيق درويش الجويدي ، المكتبة العصرية،بيروت ،ج١،ص٣٣٢.
[٨] المصدر نفسه ،ص٣٣٢.

حيث يتميزون أهل خوارزم بالبطيخ صادق الحلاوة وفيه الصلابة وقشره اخضر وباطنه احمر ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين ([1]).

الخاتمة :

نجد من خلال دراسة البحث في تاريخ دولة خوارزم وبداية نشاتها عن طريق المساعدة السلجوقية لها وبقاء بعض ولاتها يكنون الاحترام والطاعة للسلاجقة ومنهم (انوشتكين ، وقطب الدين محمد ، وايل ارسلان) . اما قطب الدين محمد فقد نال منزله كبيرة لدى الخوارزميين الا انه عندما تولى اتسز السلطة بدا يقوم بتوطيد دعائم حكمه وبعده اخذ يكافح ضد السلطان سنجر لغرض نيل الاستقلال إلى ان سعى في حصوله بإضفاء الشرعية لها عن طريق موافقة الخليفة العباسي وبعدها بلغت هذه الدولة في عصر علاء تكش وولده علاء الدين محمد اوج عظمتها في الاتساع ، وقام بضرب كل من الغوريين وقبائل الخطا الذين كانوا من حلفائهم وبالنهاية سقوط دولتهم على يد المغول نحو ٦٢٨هـ ونستنج من هذه الدراسة ان :

أولا : الدولة الخوارزمية ولاسيما اتسز سارع بالتخلص من الدولة السلجوقية التي كانت تتميز بقوة في تلك الفترة بمعنى الاستقلال ليس بوقته .

ثانيا : وقوع علاء الدين بن محمد فسي خطا كبير وهو قضائه على قبائل الخطا الذين بإزالته لهم سهل على بلاد الكفار وهم المغول الاستيلاء على البلدان الإسلامية .

ثالثا : وقوع الخوارزميين بصورة عامة ولاسيما الذين تحالفوا مع قبائل الخطا الذين هم أساسا من الوثنيين ضد دويلات وإمارات إسلامية بمعنى انه لا توجد اي دبلوماسية بينهم وبين الدول الإسلامية .

رابعا : سيطرة السلاطين في دولة خوارزم على امور الدولة بشكل كامل مما ادى الى الحد من سلطة الولاة والوزراء والقضاة ونجد الأنظمة الإدارية لدولتهم هي مشابهه ومستمدة من الأنظمة الإدارية العباسية في بغداد .

المصادر والمراجع :

1- ابن الأثير (ابو الحسن علي بن ابي الكرم) ،ت٦٣٠هـ ، الكامل في التاريخ ، تحقيق ، عبد الوهاب النجار ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ،١٩٥٧م بأجزائه الثامن والتاسع .

2- ابن بطوطة ، (محمد بن عبد الله بن محمد)،رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق درويش الجويدي ، المكتبة العصرية،بيروت ،بلا .ت.

3- ابن حوقل (ابو القسم بن حوقل النصيبي) ، ت٣٦٧هـ، كتاب صورة الأرض ، دار كتبة الحياة ،بيروت ، بلا .ت .

4- – ابن خلدون (عبد الرحمن المغربي) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، المجلد ١٥ ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، بلا . ت.

5- البنداري (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد) ، دولة السلجوق ، شركة طبع الكتب العربية ، القهرة ، ١٩٠٠م.

6- السامرائي (خليل ابراهيم ،طارق فتحي سلطان ،جزيل عبد الجبار)،تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي جامعة الموصل ، الموصل ١٩٨٨م.

7- سلمان (عيسى)،تحرير العراق من التسلط الأجنبي وانتعاش الخلافة ،موسوعة العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٨٣م.

8- عبد الرءوف(صام الدين)،الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، بلا .ت.

9- العبود (نافع توفيق) ، الدولة الخوارزمية ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، ١٩٧٨م .

[1] ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ٣٣٥.

10- العلي (صالح احمد ، خضير جاسم الدوري) ،التسلط الأجنبي ، موسوعة العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣م.

11- غربال (محمد شقيق غربال) ،الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

12- القزويني (محمد... بن زكريا بن محمود)ت٦٧٩هـ،أثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر ، بيروت،١٩٦٠م .

13- المعاضيدي (خاشع، رشيد عبد الله الجميلي) ، تاريخ الدويلات العربية والإسلامية ، جامعة بغداد ، بغداد،١٩٨٠م.

14- النسوي (محمد بن احمد)، ت٦٣٩هـ ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ احمد حمدي، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

15- النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) ، ت٧٣٣هـ ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق ، عبد المجيد ترحيني وآخرون ، مجلد ١٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م.